التعددية بين الواقعية الاجتماعية والتيارات الفكرية الفلسفية

فوزان مصرا المحمدي

Abstrak: Fenomena pluralis sudah ditemui sejak pembentukan masyarakat manusia pertama. Islam pun mengakui eksistensinya sebagai suatu kenyataan sosial dan merupakan salah satu keniscayaan. Karena Allah tidak pernah menciptakan seorang manusia sebagai proto tipe yang persis sama dari manusia lain. Islam mengajarkan dan melaksanakan hidup damai berdampingan dengan penganut agama lain. Selama berabad-abad Islam menjadikan penganut agama lain sebagai saudara sesama ciptaan Allah SWT (nuzaraa fil insaniyah). Selama tidak terkait dengan urusan ibadah, tidak ada larangan bergaul dengan orang-orang di luar Islam. Demikianlah ditetapkan Baginda Rasulullah dan tertulis dalam dustur Negara Islam Madinah. Hidup berdampingan secara damai dengan pengamut agama lain ini telah terlaksana sejak berdirinya Negara Islam di Madinah. Jadi keadaan pluralis ini bukan suatu problema baru. Dalam era globalisasi sekuler, Barat menjadikan pluralisme sebagai aliran filsafat atau idiologi politik. Barat menyatakan semua agama sama, sehingga tidak ada satu agamapun lebih benar dari yang lain. Pandangan inilah yang ditolak Islam. Seorang muslim yang benar-benar beriman dan bangga dengan agamanya tentulah sangat yakin Islam adalah satu-satunya agama yang diridhai Allah SWT. Kendati demikian hal ini tidak membuat hubungan dengan sesama umat masunia menjadi rusak. Kaum muslim di mana pun berada tetap bisa hidup berdampingan secara damai dengan penganut agama lain semenjak berdirinya Negara Islam di Mafdinah.

Abstract: The phenomenon of plurality has been found since early establishment of human society. Islam acknowledged its existence and necessity as a social reality, because Allah never creates human being as a prototype that was precisely same with the other. Islam taught its adherents to hold peaceful life beside other religion adherents. The Muslims, for centuries, treated the non-Muslim as their brothers as well as the creature of God. There no prohibition to associate with the non-Muslims as long as it is no connection with the ritual affairs. It was decided by the Prophet an as contained in the Madina Islamic constitution. Peaceful life of neighborhood with the non-Muslims had been held since the establishment of the Islamic State in Madina. Thus, the plurality is not a new problem. In secular globalization era, the West makes pluralism as a philosophical or political-ideological current. Their assert that all religions are same, so that there is no religion which is righter than the other. This is the view that Islam rejects. A Muslim that truly believes in and prides his religion, is of course very confident in Islam as only pleasant religion of Allah. Nevertheless, this case will not make the relationship between man to man defective. The Muslim wherever can constantly live neighborly peacefully with the non-Muslims. This took place since the establishment of Islamic State in Madina.

أ

إذا كانت الإنسانية والبشرية بدأت بآدم وحواء – أمة واحدة – فإن تحول هذه الأمة الواحدة إلى أمم فقد اقتضى التعددية في شرائع الرسل بتعدد أمم الرسالات، فكانت سنة التعددية موجودة منذ فجر تاريخ الإنسان[1] وللتعددية مستويات، يحددها " الجامع والرابط " الذي يجمع ويوحد ويظلل وحدتها وأفرادها ...فعلى مستوى عالمي – مثلا – هناك تعددية الحضارات المتميزة ، والقوميات المختلفة ، المؤسسة على تعدد الشرائع والمناهخ والفلسفات واللغات، والثقافات وبينها جميعا جامع الاشتراك في الإنسانية الذي لا تمايز فيه وللاختلاف[2] ولتعددية – ككل الظواهر، والمذاهب الفكرية - لها " وسط " عدل – متوازن " – ولها طرف " غلو " أحددهما " إفراط " والآخر " تفريط " ووسطها- العدل – المتوازن ، هو الذي يراعي العلاقة بين " التميز .. والتنوع .. والتعدد " بين " الجامع والرابط "[3].

رغم أن التعددية كواقعية الطبيعية موجودة منذ فجر تاريخ الإنسلن ولكن طرح مفهوم التعددية أمام الرأي العام العالمي تتم خلال الفترة الأخيرة . واعتبرها العامة وكأنه مفهوم حديث . وظن كثيرون بأنه ظهر ووضع من حيز التنفيذ في الولايات المتحدة وأروبا. وهذا علما بأن الفكرة التعددية المذكورة ليست سمة خاصة ذات صلة وثيقة بللفترة الحديثة. لقد تم استخدام مفهوم التعددية (Plural) من أجل التعبير عن قدرة مختلف الفئات العرفية والدينية والإديولوجية على العيش جنبا إلى جنب في بقعة الجغرافية واحدة في حين أطلق مفهوم التعددية الدينية (Pluralism Religious) على قدرة أتباع مختلف الأديان والثقافات على التعايش السلمي جنبا لإلى جنب . وعلى الرغم من بين هذا المفهوم قد استخدم في البداية من أجل إيضاح موقع الديني إلا أنه اكتسب فيما بعد بقرائن سياسية . ومن هنا رأى بعد الكتاب والمعلقين : كأنه ذو محوار أو مرتكز الغربي بحتة في حين أن المجتمعات الإسلامية اعتادت حسب هذا المفهوم ، على العيش جنبا إلى جنب مع الآخرين بمنتهى السلام والوئام عبر القرون التاريخية الماضية ، منذ قيام الدولة الإسلامية الأولى في مدينة الرسول أو المدينة المنورة . وإذا تتبعنا الحضارة الإسلامية منذ قيام الدولة الإسلامية في بناء المجتمع الإسلامي المتكامل في عهد الرسالة، لوجدنا أن الحضارة التي بناها الرسول مع أصحابه تشمل جميع نواحي مناشط الحياة منتظمة ومكتوبة قي " الصحيفة " – " الكتاب " – (الدستور الأول للدولة الإسلامية الأولى) في هذه الرعية ووفقا لهذا الدستور كانت هناك " تعددية " في إطار " وحدة الأمة " الوليدة ، المهاجرين والأنصار " جوامع فرعية " أشارت إليهم " الصحيفة " في إطار الجامع الإسلامي الواحد وفي إطار الأمة الواحدة وكذلك تحدثت " الصحيفة " عن التعددية الدينية بين جماعة المؤمنين وجماعة يهود والنصلرى. ونظمت أطر وآفاق تعددية في نطاق جامع ووحدة الرعية والأمة بالمعنى السياسي[4] . فلتوحيد

صفوف المسلمين أرسى الأخوة بين المهاجرين والأنصار ولنوفير الأمن والآمان لأتباعه من المهاجرين والأنصار وكتب العهد الذي ينظم العلاقة بين المسلمين ومجموعة أخرى من سكان المدينة من يهود والنصارى وغيرهم ، وأقر حقوق وواجبات سكان المدينة في السلم والحرب وغيرها وكذلك أصدر قرار التنظيم شئوون الحياة سياسياواقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.[5] نصت الصحيفة في إطار وحدة الرعية والأمة " المؤمنون والمسلمون من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة ودون الناس " المؤمنين ماداموا محاربين . إن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم. وأنه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو استجارا يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله[6]. هذه وثيقة مكتوبة واضحة وحقيقة واضحة في منتهى الوضوح أثبتتها الدراسات التاريخية عن وجود كيانة تعددية كواقعة اجتماعية ومعترفة في المجتمع الإسلامي منذ فجر تاريخه التي أثبت الأمن والآمان لمحافظة على جامع الأمة الواحدة ، والدولة الواحدة ، تحت المرجعية التشسريعبة الواحدة التى تعددت الانتماءات القبلية والدبنية . واتضح في منتهى الوضوح أن ظاهرة التعددية وجدت منذ أن وجد الإنسان ، لأن الفرد لبس صورة طبق الأصل عن نظيره الآخر واهتم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن الادعاء الذي يشكل جوهر فكرة التعددية نابغ على أن لمختلف الأفراد خصائص ووجهات نظر مختلفة وهذا في الواقع ما يعكس مسؤلية الإنسان الإرادية التى أوحى بها القرآن الكريم حيث نص" لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفون ".[7]

فحينما بلغ الرسول (ص) رسالة الله إلى جميع البشر بالعبادة أمرهم بتقوى الله وتزكية النفس عن الهوى والرذيلة والعزوف عن أهواء الدنيا ومباهجها ، حيث أن تزكية النفس لا تكون مقدسة ما لم تقترن بحب الإنسان لأخيه الإنسان والاعتراف به حيث تشكل العلاقات الإنساتية مساحة كبيرة من حياة الإنسان . أن أهم ما يعنيه علاقة مع الآخرين ونعاملهم معهم وعلى هذه وهذا التعامل يتوقف نجاحه أو فشله في الحياة . ومن منطلق الأهمية البالغة للتعامل مع الآخر والعلاقة الإنسانية ، فقد جاء الدبن ورسم لها المناهج القويمة والنظم السليمة التي تضمن استقامتها واستوائها ، معطيا لها أهمية كبيرة، باعتبارها موضوعا أساسيا من موضوعاتها ووظيفة رئيسية من وظائفها ومن هنا فلا غرابة أن يعتبر الإسلام الاعتراف بكيان الآخر أساس نجاح المعاملة[8]

إن من نعم الله تبارك وتعالى العظيمة على الإنسان أن جعله اجتماعيا بالفطرة ، مجبولا على الميل إلى نظرائه في الخلق . وذلك أن الإنسان صنفان : إما أخ الإنسان الآخر في الدين وإما نظيرا له في الخلق ، وهذا الغريزة من

الغرائز الموجودة في كل فرد من بني البشر والناس بالنظر إلى المشتركات فيما بينهم بالنسبة للمسلم أو لكل صاحب ديانة أخرى ، هم منقسم على قسمين آتنين :

1 – إخوان في الديين . هم المسلمون الذين تجمعم رابطة الإيمان بمبادئه وأحكامه وقيمه وأخلاقياته .
2 - نظراء في الخلق. هم المشتركون في الآدمية والبشرية والإنسانية[9].

مع العلم إن الإخوان في الدين هم نظراء أيضا في الخلق . وبناء على ذلكم فالإنسان في تعامله مع غيره من الناس يجب أن يأخذ البعدين معا بعين الاعتبار. بمعنى أن يعاملهم كالإخوة يشتركون معه في دين واحد وفي عقيدة واحدة ، أو يعاملهم كنظراء في الإنساتية . وليس من الصحيح أن يعامل المسلم غيره من غير المسلمين بطريقة غير حسنة ، بل التعامل يجب أن يكون حسنا مع الجميع على اختلاف أديانهم وعقائدهم مع مراعاة أن لا يكون التعامل سواء في الحالة الأولى أو الثانية في ترك الحق أو إتيان باطل أوتحليل حرام وتحريم حلال أو في تشجيع رذيلة أو نقض فضله .

وحسن التعامل مع الناس لهو تجسيدا لرسالة الإسلام وهي " رحمة للعالمين " وليس قضية مرحلية ، بمعنى أن الحسن الذى أمرنا الله به يبقى حسنا، غير خاضع للزمان والمكان . فإذا كان حسن التعامل مع الناس مطلوب منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى البشر . فهو مطلوب أيضا في العصر الحاضر وفي المستقبل ، وحتى قيام الساعة ، إذن حسن التعامل مع الخلق ينبغى أن يشمل كل مجال وجود الناس على الكرة الأرضية .

ب

بالإضافة إلى البعد الاجتماعي والثقافي في التعددية الدينية الذى يعني العيش جنبا إلى جنب ، هناك بعد آخر وهو البعد الفلسفى ، إذ يلاحظ هذا البعد بأن الجزم بحقيقة أحد الأديان ذو صلة بذلك الدين على وجه التحديد ، وأن التوكيد والاعتراف بكيان وبحقيقة الأديان الأخرى قد يكون صحيحا بالنسبة للآخرين وفي حين يتحلل البعد الاجتماعي – الثقافي الذى يضمن العيش جنبا إلى جنب حالة أو موقعا اجتماعيا ، يتحلل البعد الديني أو الفلسفى تبدلا بالمعنى الفكري من جهة والقدرة على تلاقى الاختلافات النسبية في العقائد من جهة أخرى . ويبدو أن البعد الفلسفى هو البعد الذى يمكن أن يفهم وكأنه يمثل الجانب الحديث للتعددية في يومنا هذا . لأن الذين يحاولون إضفاء الضعف على الأديان من جراء التفكير بهذه الطريقة نتيجة تناول الموضوع من هذا البعد لوحده ، يعتقدون بأن هذا الموقف ليس إلا نتيجة التأثير الذى تتركه الحداثة على الأديان. وعلى الرغم من ذلك يعتقدون الذين يرفضون تحديد هذه الظاهرة بالحداثة بأن "

التعددية الدينية " نابغة عن ضرورة فلسفية في كافة الأحوال. وهذا ما دعا بانيكار (Panikar) الذي يمثل أحد المدافعين عن هذا الاعتقاد إلى القول : وإن كان دينكم هو الدين الوحيد الذي يمثل الطريق القويم بالنسبة لكم ، فإن هذه الفكرة ستصبح بالنسبة للآخرين أيضا ، فإنه من الأجدر بكم أن تقبلوا بأن ادعاءاتكم لا تربط إلا بكم فقط .[10]

نظرا من هذه الناحية بنظر الاعتبار يمكن تقييم المواقف التي ينتهجها الأفراد والمجتمعات إزاء بعضهم البعض من الناحية التعددية الدينية حسب الفئلت الثلاث الموضحة أدناه :

1- النهج الإقصائي (Elimineristic) يعتقدون بأن دينهم الوحيد هو الدين الصائب وينادون بإتباع دينهم على نهجهم وينظرون إلى اتباع المعتقدات الأخرى بمثابة أشخاص غير مؤمنبن وأن سبيل النجاة الوحيدة يمر عبر أتباع دينهم. أن كافة الأديان تؤمن بهذا الاعتقاد بوجه عام من وجه النظر اللاهوتية . ومع ذلك فإن هذا ا يعني رفض التعايش مع أتباع الأديان الأخرى أى رفض المعنى الاجتماعي والثقافي للتعددية .
2- النهج االتعددي (Pluralistic) يعتقد الذبن يتبعون هذا النهج بأنهم طرحوا طرقا مختلفة فيما يخص الوصول إلى الله عز وجل أو بلوغ سبيل النجاة وهذه الطرق تمثل الحقيقة ولو نسبيا . ويمكن إيجاز هذا النهج بالشكل التالي : كل امرء على دينه .
3- النهج التعددي الشامل (Generalism Pluralistic) يعتقدون أن جميع الأديان سواسى وكلها تمثل الطريق القويم، وهذه هي نزعة الفكرية الفلسفية أو النظرية الفلسفية القائلة بأن معتقدة صائبة غير محصورة في حقيقة واحدة يل أن هناك حقائق أو معتقدات أو أديان صائبة A theory in philosophy that there is more than one kind of ultimate reality[11] ولا يعتبرون أي دين من الأديان باطلة بل كلها صوابا وموصل إلى طريق النجاة . بل حاولوا إزالة الفوارق بين الأديان في محاولتهم لتوحيد الأديان . ويعتقدون بأن جميع الأديان كلها توصل إلى سبيل النجاة . ويرون أن المسافة بين أتباع الأديان وجميع الأديان سواسي .

إن الفئات الثلاث آنفة الذكر التي تشير إلى المناهج المختلفة المتخذة إزاء التعددية ليست إلا مناهج ظهرت في إطار البعد اللاهوتي للتعددية . أضف إلى ذلك بأن المناهج المذكورة لا تعكس مواقف يمكن من جرائها أن تنزج أتباع الأديان المختلفة في صراع بين بعضهم البعض . هذا علما يأن النهج الأولى، أي النهج الإقصائي ، قد تعرض لكثير من الانتقادات من جراء المفاهيم الحديثة مثل الحرية وما يماثلها . في حين أن ليس هناك أمرا أكثر طبيعيا من نظرة الذي

يعتنتق دينا ما إلى دينه على أنه " أكثر الأديان صحة " ولهذا السبب فإنه من الخطأ القادح أن يتوقع من الأفراد البقاء على مسافة واحدة من كافة الأديان فيما يخص الإطار العقائدي . وكذلك لو يرى أن جميع الأديان سواسي ، ولا أي واحد منها أكثر صوابا من الآخر أو كلها في مستو واحد . وهذا لا يعني بالطبع عدم احترام أتباع الأديان الأخرى ومعتقداتهم بل نراه كأمر واقع في المجتمع الإنساني . ولكن لو جعل هذا الموقف نظريا اعتقاديا ، هذا ما لا يقبله أي مسلم المؤمن بدينه وافتخر به. ويتضح من ذلك يأن علينا نحن المسلمين نحبذ، على مستوى الفرد ، ومستوى الجماعي النهج الإقصائي بمعناه اللهوتي.

لقد وصف العلماء المسلمون الذين أخذوا بالاعتبار إمكانية التعايش السلمي جنبا إلى جنب ، كافة المواطنين إلى " المسلمين " والغيرمسلمين " بنظر القانوني . وانطلاقا من هذا التصنيف ، لم يخطر بال أحد الحديث عن أي مجموعة عرقية لدى التطرق لموضوع الأقليات في تجربة الإسلامية التاريخية، وإنما قصد بها كافة الجماعات الغيرمسلمة التي تتمتع بوضع خاص بنظر0القانون والتي تعبر أقلية نسبيا بالمقارنة يالجماعات المسلمة التي تشكل الأكثرية الساحقة .

إن الدراسات التاريخية أثبتت أن المجتمعات الدينية المختلفة لم تتغرض لأية ضغوط لاعتناق الدين الإسلامي في المجتمع المدني في عهد الرسالة وفي عهد الخلفاء الراشدين، بل على العكس ، وقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم حقوقهم . وإذا تتبعنا مسبرة الحضارة الإسلامية منذ عهد الرسالة كبصيص للمجتمع الإسلامي ، لوجدنا الأفراد الغيرمسلمين الذين يعيشون في الدولة الإسلامية تتمتع بحقوقهم واتضح أن الخلفاء أشرفوا على شئوون المجتمع من خلال احترام المعتقدات الدينية.

إننا نجد كثيرا من أبناء الملل والنحل الكافرة يعيشون ضمن المجتمع الإسلامي في كثير من المناطق التي فتحها المسلمون، أليس الأقباط في مصرمنذ فتحت وإلى عصرنا هذا لم يجبر أحد منهم على الإسلام، بل إن اليهود عاشوا ولا يزال بعضهم في بلاد المسلمين في أهنأ حال.وكذلك اليهود وكثيرا من الفرق رالأخرى. لقد تمتعت هذه الجماعات في الدولة الإسلامية بحرية لم تذقها من قبل[12] بل شاركت في الدولة الإسلامية ككتاب والمترجمون والمحاسبون بل منهم من وصل إلى مرتبة الوزير. فأين الإكراه والقهر ؟ ولا يبقى بعد هذا كله إلا الحقيقة التي تنطق بها الأحداث، ولا يأباها إلا ذو عفل سقيم أو فكر مشبوه يهدف للدس والتزوير وتزييف الحقائق لخدمة الأغراض المعينة.[13] خلافا للتهمة الموجهة للمحتمعات الإسلامية بوصفها مجتمعا أحاديا لا يقبل الحوار والاختلاف فألصقوا يوصف الإرهاب والانغلاق والجمود . فإن مفهوم سمو منزلة الإنسان لسمو أصل تكوينه جعل الإسلام يقرر مبدأ الاعتراف بالآخر. يتجلى ذلك في

الأول خطاب ألقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فور وصوله إلى مهاجرته بالمدينة المنورة والذي يعتبر عقيدة وفكرا أساسيا وعمليا لبناء المجتمع المدني.[14]

ج

إن مفهوم التعددية في المجتمع الذي يدور بين ألسنة المفكرين والكتاب والمعلقين في فترة الأخيرة حتى ظنوا بعضهم أنه ظهر ووضع في حبز التنفيذ في رويبا والولايات المتجدة كمميزات عصر العولمة العلمانية. جدير بالذكر أن هذة الفكرة ليست سمة ذات صلة بالفترة الحدبثة وعصر العولمة العلمانية ، لأن ظاهرة التعددية وجدت منذ أن وجد الإنسان ولأن الفرد ليس صورة طبق الأصل عن نظيره الآخر، والتعددية من مستلزمات المجتنع البشري . والإسلام اعترف بوجودها كأمر الوافع والمجتمعات الإسلامية اعتاجت على التعايش السلمي جنبا إلى جنب مع الأخر بمنتهى السلام والوئام عبر القرون منذ عهد الرسالة وجعل الآخر إخوان في الخلق حيث لا يمنع الإسلام التعامل معه. وهذا الموقف مكتوب في الصحيفة (دولة لإسلامية في المدينة المنورة) ، معتمدا ومستمدا من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا خلافا لمفهوم الغرب العولمى العلماني القائل بأن جميع الأديان سواسي حيث لا يوجد أي واحد منها أكثر صوابا من الآخر. والإسلام اعترف بوجودها كأمر الواقع والمجتمعات الإسلامية اعتادت على التعايش السلمي جنبا إلى جنب مع الآخر بمنتهى السلام والوئام عبر القرون منذ عهد الرسالة وجعل الآخر إخوانا في الخلق حيث لا يمنع الإسلام التعامل معهم . وهذا الموقف مكتوب في الصحيفة (دستور الدولة الإسلامية في المدينة المنورة) معتمدا ومستمدا من كتاب الله وسنة رسول لاالله صلى الله عليه وسلم . وهذا مخالفا تمام المخالفة بمفهوم الغرب العولمي العلماني القائل بأن جميع الأديان سواسي حيث لا لا يوجد أي واحد منها أكثر صوابا من الآخر. وجعل هذا الموقف نظريا فلسفيا أو إديولوجيا اجتماعيا وسياسيا وبجانب ذلك حاول تذويب جميع الأديان في هذه النظرية منطلقة إلى تهميش الدين وإبعاد تأثيره في شوون الحياة . وهذا ما لا يرضاه الإسلام والمسلمون .

نسأل الله عز وجل أن يوافقنا وإياكم لما يحب ويرضى، وأن يكلل أعمالنا جميعا بالتوفيق والنجاح ويسدد خطانا ويحفظ ديننا وأمتنا من كل سوء والله وراء القصد وعلى ما أكتب وأقول شهيد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[1] Muhammad Ahmad Imarah, *al-Islam wa al-Ta'addudiyah*, (t.t., t.p., t.th.), hal. 11
[2] *Ibid.* hal. 5
[3] *Ibid*., hal. 6
[4] *Ibid.* hal. 11

[5] Fauzan Misra El Muhammadi, *al-Janib al-Falsafi min al-Hadharah al-Islamiah,* (t.t., t.p., t.th.), hal. 56

[6] Lihat Muhammad Ahmad Haidar Badi, *Majmu'ah al-Watsaiq al-Siyasah li al-'Ahd al-Nabawi wa al-Khilafah al-Rasyidah*, (t.t., t.p., t.th.), hal. 15

[7] Q.S. Hud ayat 118

[8] *Al-Hadharah al-Islamiah*., hal. 2

[9] *Ibid.,* hal. 5

[10] Raimondio Panikar, *The Interaligious Dialog*, (t.t., t.p., t.th.), hal. 18

[11] *Webster word University Dictionary*, hal 749

[12] Abdul Aziz ibn Rasyid al-Abidi, *min Ma'arik al-Muslimina fi Ramadhan*, (t.t., t.p., t.th.), hal. 5 dan 8

[13] *Ibid*.

[14] Muhammad Hidayat Nurwahid, *Al-Mauqif maa al-Akhar: Al-Mihwar al-Awwal min Insaniyat al-Hadharat al-Islamiyah*, (t.t., t.p., t.th.), hal. 5